

مُوسَى وَالْعَلِيْقَةُ الْمُتَقَدَّةُ

المحاضرة ٢: العليقة المتقدمة

أ.ر. سي. سزول

في مُحاضرتنا السابِقة تَحَدَّثْنَا عَنِ الظُّرُوفِ الَّتِي أَحَاطَتْ بِوِلَادَةِ مُوسَى، وَعَنْ نَجَاتِهِ مِنَ الْمَرْسُومِ الصَّادِرِ عَنْ فِرْعَوْنَ، الَّذِي أَمَرَ بِمُوجِبِهِ بِقَتْلِ جَمِيعِ الْمَوْلُودِينَ الذُّكُورِ مِنَ الْعِبْرَانِيِّينَ. بَيْنَمَا نَتَابِعُ سَرْدَ الْأَحْدَاثِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى حَادِثَةِ الْعَلِيْقَةِ الْمُتَقَدَّةِ، نَرَى مَا يَجْرِي بَعْدَ أَنْ تَبَنَّتْ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ مُوسَى وَأَخَذَتْهُ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ وَعَائِلَتِهِ. نَقْرَأُ فِي الْأَصْحَاحِ الثَّانِي وَالْآيَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ: "وَحَدَّثَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لَمَّا كَبِرَ مُوسَى... دَعُونِي أَتَوَقَّفُ عِنْدَ هَذِهِ الْفَاصِلَةِ.

تَمَّ تَحْطِي قَدْرٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ الْمُهِمَّةِ، لِأَنَّهُ قِيلَ لَنَا فِي مَرَاجِعٍ أُخْرَى مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ إِنَّهُ فِي تِلْكَ السَّنَوَاتِ -خِلَالَ السَّنَوَاتِ الْأُولَى لِنُمُو هَذَا الشَّابِّ- نَشَأَ كَرْتِيْسٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ، وَلَقِيَ التَّعْلِيمَ الْأَكْثَرَ شُمُولِيَّةً وَتَطَوُّرًا الْمَتَّاحَ فِي أَيِّ مَكَانٍ فِي الْعَالَمِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. إِذَا، هُوَ كَانَ مِثَالًا يُجَسِّدُ الْعِنَايَةَ الْإِلَهِيَّةَ الْاسْتِثْنَائِيَّةَ. وَأَتِيحَتْ لَهُ فُرْصَةٌ تَلْقَى التَّعْلِيمَ الْأَكْثَرَ تَطَوُّرًا الَّذِي كَانَ يُمَكِّنُ لِأَيِّ شَابٍّ أَنْ يَتَلَقَّاهُ فِي تِلْكَ الْحِقْبَةِ مِنَ التَّارِيخِ. وَكَانَ الْهَدَفُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ إِعْدَادَ مُوسَى، لَا لِيَكُونَ رَئِيسًا فِي مِصْرَ، وَإِنَّمَا لِيَكُونَ وَسِيطَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ.

وَنَقْرَأُ: "وَحَدَّثَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لَمَّا كَبِرَ مُوسَى أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى إِخْوَتِهِ لِيَنْظُرَ فِي أَثْقَالِهِمْ". إِذَا، مِنْ الْوَاضِحِ أَنَّهُ كَانَ يَعْجَبُ حِينَئِذٍ أَنَّهُ لَا يَتَحَدَّرُ مِنْ أَصْلِ مِصْرِيٍّ، بَلْ إِنَّهُ عِبْرَانِيٌّ. وَرَابِطُ الدَّمِ هَذَا بِأَقَارِبِهِ دَفَعَهُ إِلَى النَّظَرِ إِلَى طَرِيقَةِ عَيْشِ أَقَارِبِهِ بِالْحَسَدِ. فَنَظَرَ فِي أَثْقَالِهِمْ "وَرَأَى رَجُلًا مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلًا عِبْرَانِيًّا" -وَهُوَ كَانَ عَلَى الْأَرْجَحِ عَبْدًا عِبْرَانِيًّا- "مِنْ إِخْوَتِهِ الْعِبْرَانِيِّينَ". ثُمَّ جَاءَ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ "فَالْتَقَتْ إِلَى هُنَا وَهَنَّاكَ وَرَأَى أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ، فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ وَظَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ. ثُمَّ خَرَجَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَإِذَا رَجُلَانِ عِبْرَانِيَّانِ يَتَخَاصِمَانِ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: "لِمَاذَا تَضْرِبُ صَاحِبَكَ؟" هُوَ كَانَ يُحَاوِلُ التَّوَسُّطَ لِفِضِّ النِّزَاعِ بَيْنَ اثْنَيْنِ مِنَ الْعَبِيدِ، فَقَالَ لِلْمُعْتَدِي فِي الْخُصُومَةِ: "لِمَاذَا تُسِيءُ إِلَى أَخِيكَ؟" فَقَالَ: "مَنْ جَعَلَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا؟" مَنْ تَحَالَ نَفْسَكَ يَا مُوسَى؟ "أَمْفَتَكِرُ أَنْتِ بِقَتْلِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ (لَيْلَةَ أَمْسِ)؟" فَقَالَ مُوسَى: "أَوِ لَا! ظَنَنْتُ أَنِّي ارْتَكَبْتُ تِلْكَ الْفِعْلَةَ سِرًّا. لَكِنَّ السِّرَّ كُشِفَ. هَذَا الرَّجُلُ يَعْرِفُ أَيَّ قَتَلْتُ مِصْرِيًّا، وَهُوَ يَعْرِفُ أَيَّنَ دَفَنْتُ جُسَّتَهُ".

كَانَتْ هَذِهِ عَلَامَةٌ لِمُوسَى لِكَيْ يُسْرِعَ وَيَفِرَّ مِنَ الْأَرَاضِي الْخَاضِعَةِ لِلسُّلْطَةِ الْمِصْرِيَّةِ وَيَبْحَثَ عَنِ الْأَمَانِ فِي مَكَانٍ آخَرَ. "فَخَافَ مُوسَى وَقَالَ: "حَقًّا قَدْ عُرِفَ الْأَمْرُ" فَسَمِعَ فِرْعَوْنَ هَذَا الْأَمْرَ، فَطَلَبَ أَنْ يَقْتُلَ مُوسَى. لَيْسَتْ هَذِهِ الْمَرَّةُ الْأُولَى الَّتِي يَنْوِي فِيهَا فِرْعَوْنَ قَتْلَ مُوسَى. "فَهَرَبَ مُوسَى مِنْ وَجْهِ فِرْعَوْنَ وَسَكَنَ فِي أَرْضِ مِديَانَ" - وَهُوَ مَكَانٌ فِي قَلْبِ الْبَرِّيَّةِ بَعِيدٌ جِدًّا عَنِ الْمُدُنِ وَبَعِيدٌ جِدًّا عَنِ مَرَكِزِ الْحَضَارَةِ - "وَسَكَنَ فِي أَرْضِ مِديَانَ، وَجَلَسَ عِنْدَ الْبُئْرِ".

وَجَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ: "وَكَانَ لِكَاهِنِ مِديَانَ سَبْعَ بَنَاتٍ، فَأَتَيْنَ وَاسْتَقَيْنَ وَمَلَأْنَ الأَجْرَانَ لِيَسْقِينَ عَنَمَ أَبِيهِنَّ. فَأَتَى الرُّعَاةَ وَظَرَدُوهُنَّ".

لَمْ يَكُنْ مِنْ غَيْرِ المَأْلُوفِ فِي العُصُورِ القَدِيمَةِ فِي تِلْكَ الأَرَاضِي القَاحِلَةِ أَنْ تَقُومَ حُرُوبٌ وَتَتِمَّ مُمَارَسَةُ شَتَّى أَنْوَاعِ التَّعَدِّيَاتِ وَالمَعَارِكِ بَيْنَ الرُّعَاةِ بِسَبَبِ حَقِّ اسْتِعْمَالِ المَاءِ. هُنَا، كَانَ لَدَى كَاهِنِ مِديَانَ سَبْعَ بَنَاتٍ يَرَعَيْنَ عَنَمَ أَبِيهِنَّ، بَدَلًا مِنْ أَنْ يَقُومَ الرِّجَالُ بِهَذَا العَمَلِ. فَجِئْنَ إِلَى البُئْرِ لِمَلْءِ الأَجْرَانَ لِإِعْطَاءِ العَنَمِ المَاءَ الَّذِي تَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِتَبْقَى عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ، ثُمَّ جَاءَ هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ وَقَالُوا "ابْتَعِدْنَ مِنَ الطَّرِيقِ. نَحْنُ نُرِيدُ أَنْ نَسْقِيَ عَنَمَنَا وَسَيَكُونُ عَلَى الفَتَيَاتِ الاِنْتِظَارُ إِلَى أَنْ نُنْتَهِيَ مِنْ عَمَلِنَا".

فَرَأَى مُوسَى مَا جَرَى. وَالمَعْلُومُ أَنَّ مُوسَى فِي المَقَاطِعِ الوَجِيزَةِ الَّتِي تَصِفُهُ خِلَالَ السَّنَوَاتِ الأُولَى مِنْ حَيَاتِهِ هُوَ رَجُلٌ يَتَّقِدُ قَلْبُهُ حِمَاسَةً لِتَحْقِيقِ العَدَالَةِ. فَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَصْبِرُ أَبَدًا أَمَامَ الظُّلْمِ وَأَمَامَ رُؤْيَةِ النَّاسِ يَتَعَرَّضُونَ لِلإِعْتِدَاءِ وَسُوءِ المُعَامَلَةِ. إِذَا، حَمِي غَضَبُهُ لَدَى رُؤْيَةِ هَؤُلَاءِ الرُّعَاةِ يَأْتُونَ وَيَظْرَدُونَ الفَتَيَاتِ. "فَنَهَضَ مُوسَى وَأُنْجَدَهُنَّ وَسَقَى عَنَمَهُنَّ". هُنَا يَبْدُو الكِتَابِ المُقَدَّسِ سَيِّدَ التَّصْرِيحِ المُكْبُوحِ. هَا قَدْ جَاءَ هَؤُلَاءِ الرُّعَاةُ وَظَرَدُوا هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ، فَقَالَ مُوسَى: "مَهَلًا! هُنَّ وَصَلْنَ إِلَى هُنَا أَوَّلًا. اقْتَرِبْنَ يَا فَتَيَاتِ. أَحْضِرْنَ عَنَمَكُنَّ. سَنَدْعُهَا تَسْتَقِي وَأَنَا سَأَقِفُ هُنَا لِلدِّفَاعِ عَنَكُنَّ". لَا أَعْلَمُ إِلَى أَيِّ مَدَى كَانَ مُوسَى شَخْصِيَّةً مَهِيْبَةً. لَكِنْ مِنَ الوَاضِحِ أَنَّ هَؤُلَاءِ القَوْمَ لَمْ يُرِيدُوا التَّوَرُّطَ مَعَهُ. كَانَ هَذَا رَدُّ العَهْدِ القَدِيمِ عَلَى الجُزْأَةِ الحَقِيقِيَّةِ.

"فَلَمَّا أَتَيْنَ إِلَى رَعُوئِيلَ أَبِيهِنَّ قَالَ: "مَا بَالُكُنَّ أَسْرَعْتُنَّ فِي المَجِيءِ اليَوْمَ؟" أَيَّتْهَا الفَتَيَاتِ، لَقَدْ أَبْكَرْتُنَّ فِي العُودَةِ مِنْ سِقَايَةِ القَطِيعِ. "فَقُلْنَ: "رَجُلٌ مِصْرِيٌّ أَنْقَدَنَا مِنْ أَيْدِي الرُّعَاةِ، وَإِنَّهُ اسْتَقَى لَنَا أَيْضًا وَسَقَى العَنَمَ". فَأَثَارَ الأَمْرُ اهْتِمَامَ رَعُوئِيلَ، وَسَأَلَ: "وَأَيْنَ هُوَ؟ لِمَاذَا تَرَكَتُنَّ الرِّجُلَ؟ اذْعُونَهُ لِيَأْكُلَ طَعَامًا فَأُكَافِئُهُ عَلَى إِحْسَانِهِ إِلَيْكُنَّ". فَارْتَضَى مُوسَى أَنْ يَسْكُنَ مَعَ الرِّجُلِ، فَأَعْطَى مُوسَى صَفُورَةَ ابْنَتِهِ. فَوَلَدَتْ ابْنًا فَدَعَا اسْمَهُ جَرُشُومَ، لِأَنَّهُ قَالَ: "كُنْتُ نَزِيلًا فِي أَرْضِ غَرِيبَةٍ". عَنْ طَرِيقِ الصُّدْفَةِ، وَبِفَضْلِ عِنَايَةِ اللهُ الحَقِيقَةِ تَمَّ تَبَنِّي مُوسَى فِي عَائِلَةِ جَدِيدَةٍ، فِي عَائِلَةِ رَعُوئِيلَ، وَهُوَ كَاهِنٌ مِديَانَ. فَتَزَوَّجَ ابْنَتَهُ، وَهِيَ وَلَدَتْ لَهُ ابْنًا، وَهُوَ وَجَدَ مَلْجَأً. وَقَالَ: "كُنْتُ نَزِيلًا فِي أَرْضِ غَرِيبَةٍ".

جَاءَ أَيْضًا: "وَحَدَّثَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ الكَثِيرَةِ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ مَاتَ. وَتَنَهَّدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنَ العُبُودِيَّةِ وَصَرَخُوا". فِي تِلْكَ الفَتْرَةِ، كَانَ عُمُرُ مُوسَى أَرْبَعِينَ سَنَةً. هُوَ لَمْ يَعُدْ فَتَى صَغِيرًا. لَكِنَّ الأَشْخَاصَ أَنفُسَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا خَاضِعِينَ لِبَيرِ العُبُودِيَّةِ الرَّهِيْبِ الَّذِي فَرَضَهُ عَلَيْهِمُ المِصْرِيُّونَ كَانُوا لَا يَزَالُونَ عَبِيدًا، كَانُوا لَا يَزَالُونَ يَبْتَنُونَ وَيَتَدَمَّرُونَ وَيَصْرُخُونَ نَتِيجَةَ ازْدِيَادِ ثِقَلِ العُبُودِيَّةِ عَلَى كَاهِلِهِمْ. "وَصَرَخُوا، فَصَعِدَ صَرَاحُهُمْ إِلَى اللهُ". هَذِهِ وَاحِدَةٌ مِنْ أَهَمِّ اللِّحَظَاتِ فِي تَارِيخِ

العهد القديم، حين سَمِعَ اللهُ صُراخَ هَذَا الشَّعْبِ، حِينَ أَصْعَى اللهُ إِلَى آيِنِ هَوْلَاءِ الْعَبِيدِ فِي مِصْرَ. فَحَرَّكَ الرَّبُّ الإِلهُ الْقَدِيرُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ مِنْ خِلالِ عَبْدِهِ مُوسَى لِيُعَالِجَ مَهْزَلَةَ هَذَا الْعَمَلِ الْوَحْشِيِّ.

"فَسَمِعَ اللهُ أَيْنَهُمْ، فَتَذَكَّرَ اللهُ مِيثَاقَهُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ". فَقَالَ اللهُ: "هَوْلَاءِ ذُرِّيَّةِ الرَّجُلِ الَّذِي أَقَمْتُ مَعَهُ هَذَا الْعَهْدَ، وَقُلْتُ لَهُ إِنَّي سَأَجْعَلُهُ أَبَا لَأُمَّةٍ عَظِيمَةٍ، وَإِنِّي سَأَبَارِكُهُ، وَإِنَّ جَمِيعَ أُمَّمِ الْأَرْضِ سَتَتَبَارَكُ مِنْ خِلالِهِ، وَإِنَّ نَسْلَهُ سَيَكُونُ كَرْمِلِ الْبَحْرِ وَنُجُومِ السَّمَاءِ. وَأَنَا كَرَّرْتُ هَذَا الْوَعْدَ لِابْنِهِ إِسْحَاقَ وَمِنْ ثَمَّ لِابْنِهِ يَعْقُوبَ. وَرَأَيْتُ أَوْلَادَهُمْ يَنْزِلُونَ إِلَى أَرْضِ مِصْرَ وَأَرْضِ جَاسَانَ. لَكِنِّي لَمْ أَنْسَ أَبَدًا الْعَهْدَ الَّذِي قَطَعْتُهُ لِإِبْرَاهِيمَ وَبَنِيهِ. وَالآنَ، أَنَا أَسْمَعُ صُراخَ أَبْنَاءِ وَبَنَاتِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَصُراخَهُمْ دَخَلَ أُذُنِي". وَنَظَرَ اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَلِمَ اللهُ.

وَنَتَقَدَّمُ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْأَمَامِ. مَرَّتِ السَّنَوَاتُ وَأَصْبَحَ عُمُرُ مُوسَى ثَمَانِينَ سَنَةً، وَكُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ حَيَاتِهِ كَانَ عَمَلُهُ يَقْضِي بِأَنْ يُخْرَجَ عَنَّمِ حَمِيهِ وَيَسُوقَهَا لِتَرْعَى نَحْوَ أَطْرَافِ الْبَرِّيَّةِ عِنْدَ سَفْحِ جَبَلِ اللهِ، حُورِيبَ. وَطَوَالَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، كُلَّ يَوْمٍ، لَمْ يَسْتَمْتِعْ مُوسَى بِالْمَكَانَةِ وَالْامْتِيَّازِ فِي قَصْرِ فِرْعَوْنَ، بَلْ كَانَ رَاعِيًا، وَهُوَ كَانَ يَحْرُصُ عَلَى حِمَايَةِ الْعَنَمِ وَرِعَايَتِهَا كُلَّ يَوْمٍ. مِنَ الصَّعْبِ تَحْيُلُ حَيَاةٍ أَكْثَرَ صَجْرًا مِنْ ذَلِكَ. حِينَ كُنْتُ فِي الْمَدْرَسَةِ الثَّانَوِيَّةِ، عَمِلْتُ فِي فَصْلِ الصَّيْفِ فِي شَرِكَةِ "كُونْتِينْتال" لِلْعَلْبِ فِي "بِيئْسْبُرْغ"، وَهِيَ كَانَتْ مِنْ أَكْبَرِ الْمَصَانِعِ فِي الْعَالَمِ. وَقَدْ كَانَتْ تُصَنِّعُ الْعَلْبَ، لِذَا سُمِّيَتْ شَرِكَةُ "كُونْتِينْتال" لِلْعَلْبِ. عُلْبٌ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ يُمَكِّنُ تَصَوُّرَهُ؛ عُلْبٌ حِسَاءٍ، وَعُلْبٌ مَشْرُوبَاتٍ غَازِيَّةٍ، وَعُلْبٌ عَصِيرِ عِنَبٍ، وَعُلْبٌ سَائِلِ بَطَّارِيَّاتٍ "دِلْكَو"، وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَكَانَ عَمَلِي كَمُوَظَّفٍ فِي مَوْسِمِ الصَّيْفِ يَقْضِي بِأَنْ أَحُلَّ مَحَلَّ مُوَظَّفِينَ ذَهَبُوا فِي إِجَازَةٍ أُسْبُوعِيَّةٍ. كُنَّا نَعْمَلُ بِدَوَامٍ جُزْئِيٍّ وَنَتَوَلَّى هَذِهِ الْمُهْمَةَ.

يَجِبُ أَنْ أُخْبِرْكُمْ عَنْ إِحْدَى الْمَهَمَّاتِ الَّتِي أَدَيْتُهَا. كَانَ عَمَلِي يَتَعَلَّقُ بِأَغْطِيَةِ الرُّجَاجَاتِ، مِثْلِ رُجَاجَاتِ الْكُوكَا كُولَا، الْأَغْطِيَةِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي كُنْتُ تَحْتَاجُ إِلَى مِفْتَاحِ الْكَنِيسَةِ لِفَتْحِهَا. كُنْتُ أَجْلِسُ وَرَاءَ الطَّائِلَةِ وَأَمَامِي صُنْدُوقَانِ ضَخْمَانِ، وَكَانَتِ الصَّنَادِيقُ عِنْدَ الْجِهَةِ الْيُسْرَى مَلِيئَةً بِأَغْطِيَةِ الرُّجَاجَاتِ الْمَعْدِنِيَّةِ، وَكَانَ يُوجَدُ الْآلَافُ مِنْهَا. وَعِنْدَ الْجِهَةِ الْيُمْنَى كَانَتِ الصَّنَادِيقُ مَلِيئَةً بِالْآلَافِ مِنْ قِطْعِ الْفِلِّينِ بِهَذَا الْحُجْمِ. وَكَانَ عَلَيَّ أَخْذُ قِطْعَةِ الْفِلِّينِ وَدَفْعُهَا نَحْوَ أَسْفَلِ غِطَاءِ الرُّجَاجَةِ، لِأَنَّ الْفِلِّينَ يَعْزِلُ أَعْلَى غِطَاءِ الرُّجَاجَةِ. وَكَانَ يُوجَدُ أَشْخَاصٌ بَارِعُونَ فِي هَذَا الْعَمَلِ، لِدَرَجَةِ أَنَّهُ كَانَ يُمْكِنُهُمْ حَمْلُ خَمْسَةِ أَغْطِيَةٍ بِالْيَدِ الْيُسْرَى، وَخَمْسِ فِلِّينَاتٍ، وَجَمْعُهَا. هُمْ كَانُوا يَشْتَعِلُونَ بِالْفِطْعَةِ، وَكَانُوا يَقُومُونَ بِهَذَا الْعَمَلِ كُلَّ يَوْمٍ، ثَمَانِي سَاعَاتٍ فِي الْيَوْمِ. وَفِي ذَلِكَ الْمَصْنَعِ، كَانَ يُوجَدُ أَشْخَاصٌ يَقُومُونَ بِهَذَا الْعَمَلِ مُنْذُ خَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةٍ. وَأَنَا بَعْدَ خَمْسِ عَشْرَةِ دَقِيقَةٍ كِدْتُ أَفْقِدُ صَوَابِي، وَأَنَا أَحَاوِلُ أَنْ أَجِدَ الْاِكْتِفَاءَ فِي حَيَاتِي مِنْ خِلالِ إِدْخَالِ قِطْعِ الْفِلِّينِ فِي أَغْطِيَةِ الرُّجَاجَاتِ. أَمْرٌ رَهِيْبٌ!

لَمْ يَتَدَمَّرْ مُوسَى، بَلْ كَانَ يُؤَدِّي عَمَلَهُ الرِّيبَ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، وَسَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ، إِلَى أَنْ عَاشَ الْاِخْتِبَارَ الْأَكْثَرَ ذُهُولًا فِي حَيَاتِهِ، خِلَالَ السَّنَاتِ الثَّمَانِينَ مِنْ عُمُرِهِ. لَنْ أُفَسِّرَ الْأَهْمِيَّةَ اللَّاهُوتِيَّةَ لِلْأَمْرِ الْآنَ، لِكَيْتَنِي أَوْدُ تَذْكَيرِنَا بِسَرِّ الْقِصَّةِ الَّتِي تَبَدُّا بِالْأَصْحَاحِ الثَّلَاثِ مِنْ سَفَرِ الْخُرُوجِ. "وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَرَعَى عَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيهِ - هَذَا هُوَ الْاسْمُ الْآخَرُ لِرَعُوثِيلِ كَاهِنِ مَدْيَانَ - فَسَاقَ الْعَنَمَ إِلَى وَرَاءِ الْبَرِّيَّةِ وَجَاءَ إِلَى جَبَلِ اللَّهِ حُورِيْبَ. وَظَهَرَ لَهُ مَلَائِكَةُ الرَّبِّ بِلَهِيْبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عَلْيَقَةٍ. فَنَظَرَ وَإِذَا الْعَلْيَقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ، وَالْعَلْيَقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ!" إِيكُمْ رَدَّ فِعْلِ مُوسَى، اسْمَعُوا مَا قَالَهُ حِينَ حَدَّثَ فَجَاءَ بَيْنَمَا كَانَ يَتَمَشَّى فِي الْبَرِّيَّةِ أَنْ رَأَى بِطَرْفِ عَيْنِهِ ظَاهِرَةً لَمْ يَكُنْ قَدْ شَهِدَهَا فِي تِلْكَ الْبَرِّيَّةِ خِلَالَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَرَأَى تِلْكَ الْعَلْيَقَةَ الَّتِي بَدَتْ تُسْتَعِيلُ بِالنَّارِ. لَكِنْ فِيمَا كَانَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا لَاحِظًا أَنَّ حَجْمَ الْعَلْيَقَةِ لَمْ يَتَضَاعَلْ، وَأَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ تَحْتَرِقَ الْعَلْيَقَةُ، لَكِنَّ النَّارَ ظَلَّتْ مُسْتَعِيلَةً. "فَقَالَ مُوسَى: "أَمِيلُ الْآنَ لِأَنْظُرَ هَذَا الْمَنْظَرَ الْعَظِيمَ. لِمَاذَا لَا تَحْتَرِقُ الْعَلْيَقَةُ؟"

مَا سَنَفَعُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ خِلَالَ الْأَسَابِيعِ الْعَشْرَةِ الْمُقْبِلَةِ هُوَ مُحَاوَلَةُ الْإِجَابَةِ عَنِ ذَلِكَ السُّؤَالِ: "أَمِيلُ الْآنَ لِأَنْظُرَ هَذَا الْمَنْظَرَ الْعَظِيمَ، (مُحَاوَلًا أَنْ أُكْتَشِفَ) لِمَاذَا لَا تَحْتَرِقُ الْعَلْيَقَةُ؟" هَذَا مَا أُرِيدُ أَنْ نَتَأَمَّلَ فِيهِ بِكُلِّ عِنَايَةٍ خِلَالَ الْأَسَابِيعِ وَالْأَيَّامِ الْمُقْبِلَةِ. لِأَنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّ الْإِجَابَةَ عَنِ هَذَا السُّؤَالِ تَسْتَهْلُ فِعْلًا تَارِيخَ الْفِدَاءِ بِرُمَّتِهِ، وَتُلَخِّصُ جَوْهَرَ إِعْلَانِ اللَّهِ عَنْ ذَاتِهِ فِي التَّارِيخِ وَفِي كَلِمَتِهِ، فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ الَّتِي مَالَ فِيهَا مُوسَى وَطَرَحَ سُؤَالَ: "لِمَاذَا تَتَوَقَّدُ هَذِهِ الْعَلْيَقَةُ بِالنَّارِ بِدُونِ أَنْ تَحْتَرِقَ؟" فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالَ لِیَنْظُرَ، نَادَاهُ اللَّهُ مِنْ وَسَطِ الْعَلْيَقَةِ وَقَالَ: "مُوسَى، مُوسَى!"

إِذَا، فَضْلًا عَنِ رُؤْيَةِ تِلْكَ الظَّاهِرَةِ الْعَرِيْبَةِ، تِلْكَ الْعَلْيَقَةُ الْمُتَّقِدَةُ بِالنَّارِ بِدُونِ أَنْ تُسْتَعِيلَ، الْآنَ، بَدَأَتْ الْعَلْيَقَةُ تُكَلِّمُهُ. سَمِعَ صَوْتًا صَادِرًا عَنِ الْعَلْيَقَةِ، وَيُنَادِيهِ بِاسْمِهِ. وَبِالْمُنَاسَبَةِ، إِنَّ تَكَرَّرَ اسْمِهِ يَعْكِسُ الطَّرِيقَةَ الْعِبْرِيَّةَ لِخَاطِبَةِ شَخْصٍ بِطَّرِيقَةِ حَمِيمَةٍ "مُوسَى، مُوسَى". فَقَالَ مُوسَى: "هَنْدَا". فَقَالَ (اللَّهُ): "لَا تَقْتَرِبْ إِلَى هَهُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لِأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَقِفَ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ". ثُمَّ قَالَ: "أَنَا إِلَهُ أَبِيكَ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ. فَعَطَى مُوسَى وَجْهَهُ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللَّهِ". هَلْ تَذْكُرُونَ كَيْفَ أَنَّهُ بَعْدَ سَنَاتٍ حِينَ صَعَدَ إِلَى الْجَبَلِ قَالَ لِلَّهِ: "أَرِنِي وَجْهَكَ. أُرِيدُ أَنْ أَرَى مَجْدَكَ". لَكِنْ فِي أَوَّلِ لِقَاءٍ لَهُ مَعَ اللَّهِ الْحَيِّ، حَبَأَ وَجْهَهُ. أَنْتُمْ أَيْضًا كُنْتُمْ لِتَفْعَلُوا ذَلِكَ لَوْ كُنْتُمْ وَقِفِينَ عَلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ. هُوَ لَمْ يَتَجَرَّأْ عَلَى النَّظَرِ إِلَى مَنْ كَانَ وَقِفًا أَمَامَهُ.

"فَقَالَ الرَّبُّ: "إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَدَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخَّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ، فَزَلْتُ لِأَنْقُدَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَّاسِعَةٍ، إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلًا، إِلَى مَكَانِ الْكُنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحَوِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ. وَالْآنَ هُوَذَا صُرَاخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ

قَدْ آتَى إِلَيَّ، وَرَأَيْتُ أَيْضًا الضَّيْقَةَ الَّتِي يُضَايِقُهُمْ بِهَا الْمِصْرِيُّونَ، فَالآنَ هَلُمَّ فَأَرْسِلْكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجْ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ". فَقَالَ مُوسَى لِلَّهِ... "طَرَحَ مُوسَى سُؤَالَ عَلَى اللَّهِ، هُوَ طَرَحَ سُؤَالَينِ فَاتَّقِنِي الْأَهْمِيَّةَ فِي هَذَا اللَّقَاءِ.

السُّؤَالُ الْأَوَّلُ هُوَ سُؤَالٌ يَجِبُ أَنْ نَنْظُرَهُ جَمِيعًا حِينَ نَكُونُ فِي مَحْضَرِ اللَّهِ: "مَنْ أَنَا؟ هَلْ سَمِعْتِكَ تَقُولُ إِنَّهُ يَجْدُرُ بِي أَنْ أَذْهَبَ وَأَحْرَرَ شَعْبِي مِنْ عِبُودِيَّةِ فِرْعَوْنَ؟ مَنْ أَنَا يَا اللَّهُ؟ إِنَّهُ لِأَمْرٍ بَسِيطٍ أَنْ أَقْفَ فِي وَجْهِ بَعْضِ الرُّعَاةِ فِي الْبَرِّيَّةِ يَمْنَعُونَ بَنَاتِ حِمَايَ مِنَ الْاسْتِقَاءِ، وَهُوَ لِأَمْرٍ بَسِيطٍ أَنْ أَقْفَ فِي وَجْهِ مِصْرِيٍّ يَضْرِبُ أَحَدَ الْعَبِيدِ، لَكِنْ مَنْ أَنَا حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَأَقُولَ لَهُ "أُظَلِّقُ شَعْبِي"؟" هَذَا أَوَّلُ سُؤَالٍ طَرَحَهُ.

فَقَالَ لَهُ اللَّهُ: "سَأُخْبِرُكَ مَنْ أَنْتَ يَا مُوسَى. إِنِّي أَكُونُ مَعَكَ حَتْمًا، وَهَذِهِ تَكُونُ لَكَ الْعَلَامَةُ أَنِّي أُرْسَلْتُكَ: حِينَمَا تُخْرِجُ الشَّعْبَ مِنْ مِصْرَ، تَعْبُدُونَ اللَّهَ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ". فَقَالَ مُوسَى لِلَّهِ: "هَا أَنَا آتِي إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَقُولُ لَهُمْ: إِلَهَ آبَائِكُمْ أُرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. فَإِذَا قَالُوا لِي: مَا اسْمُهُ؟ فَمَاذَا أَقُولُ لَهُمْ؟" هُوَ قَالَ: "مَنْ أَنْتَ؟" فَجَاءَ الْجُؤَابُ. فَقَالَ اللَّهُ لِمُوسَى: "أَهْيَهُ الَّذِي أَهْيَهُ". وَقَالَ: "هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَهْيَهُ أُرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ". وَقَالَ اللَّهُ أَيْضًا لِمُوسَى: "هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: يَهُوَهَ إِلَهَ آبَائِكُمْ، إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهَ إِسْحَاقَ وَإِلَهَ يَعْقُوبَ أُرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. هَذَا اسْمِي إِلَى الْأَبَدِ وَهَذَا ذِكْرِي إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ". "أَهْيَهُ الَّذِي أَهْيَهُ".

فِي عَمَلِيَّةِ الْكَشْفِ عَنِ الدَّاتِ هَذِهِ، لَا نَجِدُ إِعْلَانًا أَعْمَقَ عَنِ طَبِيعَةِ اللَّهِ وَشَخْصِيَّةِ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ آخَرَ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. إِذَا، تَقْضِي مَهْمَتُنَا فِي الْأَسَابِيعِ الْمُقْبِلَةِ بِاكتِشَافِ أَهْمِيَّةِ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي سَمِعْنَاهَا لِلتَّوَّ بِأَسْلُوبِ سَرْدِيٍّ. مَاذَا تَعْنِي هَذِهِ الْأُمُورُ؟ لِمَاذَا الْعُلَيْقَةُ الْمُتَّقِدَةُ؟ لِمَاذَا الْاسْمُ التَّذْكَارِيُّ "أَهْيَهُ الَّذِي أَهْيَهُ"؟ مَنْ هُوَ هَذَا الْإِلَهَ الَّذِي أَعْلَنَ عَنِ نَفْسِهِ لِمُوسَى فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ مِنَ التَّارِيخِ؟

الدكتور أ.ز. سي. سبرول هُوَ مُؤَسَّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ لِيْجُونِير، وَكَانَ أَحَدَ رُعَاةِ كَنِيسَةِ الْقَدِيسِ أَنْدَرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْد بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسٍ لِكَلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلإِصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ أَلَّفَ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُلُّنَا لَاهُوتِيُونَ" (Everyone's A Theologian).